اللغة والمعرفة

قال الفيلسوف الألماني لودفج وتجينشتاين Ludwig Wittgenstein ذات مرة: "إن حدود لغتي هي حدود عالمي." ويمكن للمرء أن يضيف إلى ذلك القول، "إن حدود لغتي هي حدود معرفتي"، وبالتالي هي حدود فرصتي وتجربتي في الحياة. اللغة هي واحد من أهم العوامل التي تؤثر في انجازات الإنسان ورسم سقف طموحاته، وبالتالي تحديد قدراته على تحقيق ذاته. فاللغة هي أداة التفكير والتعبير الرئيسية، ووسيلة التواصل مع الغير من الناس والكثير من الأشياء التي تُشكل المجال الحيوي لنشاط الإنسان في كافة المجالات، بما في ذلك مجالات العمل والتعليم والتفاعل الخلاق مع عناصر البيئة الطبيعية والاجتماعية والتكنولوجية التي تكتنف حياة الإنسان.

إذا كانت لغة الإنسان هي لغة وطنية ولكن ذات لهجة محلية مميزة ليس لها وجود في بقية أجزاء الوطن، فإن حدود عالمه تكون محصورة ضمن حدود مجتمعه المحلي إلى حد كبير، وهي حدود تقوم بتحديد نوعية معارفه العلمية وخبراته العملية وفرصه المعيشية، والتي تعكس بالتالي تجاربه وانجازاته الحياتية وطبيعة تقاليده وعلاقاته الاجتماعية ومعتقداته الفكرية. أما إذا كان لدى الإنسان لغة وطنية أو إقليمية إضافة إلى لغته المحلية، فإن حدود عالمه لا بد وأن تضم تجمعات إنسانية كثيرة، وربما أقطاراً ودول عديدة متقاربة ومتباعدة. وهذا من شأنه أن يقود إلى توسعة نطاق معارفه وخبراته وأفق تفكيره، وتحسين فرص نجاحه في تحقيق انجازات مميزة تثري حياته، وتُسهم في رفع مستوى معيشته بوجه عام، وتعزيز موقعه الاجتماعي بوجه خاص.

من ناحية أخرى، إذا أتقن الإنسان لغة عالمية بالإضافة إلى لغته المحلية والإقليمية، فإن عالمه يتسع كثيراً ليصبح بلا حدود تقريباً، وقدراته على الحصول على المعرفة بلا قيود. وهنا لا بد من الإشارة بسرعة إلى أنه ليس هناك لغة عالمية اليوم سوى اللغة الانجليزية، وذلك بعد أن أصبحت لغة العلم والتجارة والمال والإعلام والإنترنيت والتواصل بين مختلف الشعوب. وهذا من شأنه أن يجعل فرص الإنسان الذي يتقن لغته الوطنية والإقليمية والعالمية كبيرة للغاية، ومستقبله عبارة عن مسيرة حياة جميلة ومثيرة لا تتوقف عن التجدد. وهذا من شأنه أن يضع مثل ذلك الإنسان، خاصة إذا استخدم لغاته لزيادة معارفه العلمية، في موقع قوى يسمح له بإعادة تشكيل حياته من جديد، وصياغة المستقبل الذي يريد، والسعي لتعلم وممارسة المهنة التي تتناسب مع مواهبه، والعمل في المؤسسة التي يرغب في الانتماء إليها، والوصول إلى المستوى المعيشي الكفيل بالتجاوب مع احتياجاته المتزايدة وتوقعاته المستقبلية المتصاعدة وطموحاته المتنامية.

اللغة أو اللهجة المحلية تساعد الفرد على التواصل مع غيره من أفراد المجتمع الصغير الذي يعيش فيه وينتمي إليه، فيما تساعده اللغة الوطنية على التواصل مع أفراد المجتمع الأكبر والمشاركة في النشاطات الوطنية مثل الانخراط في مهنة التعليم والإعلام، والعمل في دوائر الدولة والمؤسسات الوطنية الكبيرة. كما تساعده اللغة الوطنية على التمتع بقراءة الإنتاج الأدبي الذي يصدر على شكل كتب وأشعار وروايات ومسرحيات وأعمال فنية راقية. أما اللغة الإقليمية فهي لغة التجارة والمال والسياحة الرئيسية، ولغة التاريخ المشترك بين الجماعات والشعوب التي تنتمي لثقافة واحدة موزعة بين أقطار مختلفة بعيدة وقريبة. أما اللغة العالمية فهي لغة العلم والتكنولوجيا والطب، والتعرف على ما يجري في العالم من تطورات في مختلف المجالات، وهذه تطورات ذات تأثير مباشر وغير مباشر على حياته وحياة مجتمعه ومستقبل أطفاله وأحفاده.

أن الحصول على أكثر من لغة يمكن صاحبها من ممارسة النشاطات التي يتمناها والتي تعود عليه بالمتعة والرضا عن النفس، والاطلاع على ما ينتجه العالم من علوم وفنون وتكنولوجيا جديدة، وغير ذلك من مستلزمات الحياة وكمالياتها. بناء على ذلك، يصبح تعلم اللغات نوعاً مميزاً من الاستثمار طويل المدى في رأس مال بشري فردي وجماعي ومجتمعي غير قابل للنضوب... رأس مال لا يمكن لفرد أو مجتمع أن ينمو في غيابه، ولا أن يتجاوز عقبات التخلف والتبعية والفقر وينهض من كبوته. أما انقان شخص للغة محلية أو وطنية غريبة عن لغته الوطنية فيعتبر شيئاً كمالياً يساعده على قراءة ما ينشر في تلك اللغة من معلومات، والتعرف على ثقافات ومواقف الشعوب التي تتكلمها، لكنها لن تساعده كثيراً في إثراء معارفه العلمية وتعزيز مواقعه الاجتماعية في وطنه وبين أهله.